الأسود بن المطلب

- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].
- ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٥-٩٦].

اسمه ونسبه:

الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي، يكنى أبا زمعة، هو ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد، وهو أيضًا ابن خال السيدة برة بنت عبد العزى، جدة النبي ﷺ لأمه.

مولده:

ولد في مكة قبل البعثة.

حياته:

كان من أشد المُعادين والمستهزئين بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه.

ومن رجال مكة الأغنياء «الأسود بن المطلب» المعروف بـ «أبي زمعة»، و«زمعة» ابنه، قُتل يوم «بدر» في جملة من قُتل من رجال قريش، وكان يقال له: «زاد الركب». وقد عرف ولده الأسود بـ «زاد الركب» كذلك. وكان الأسود ممن أدرك أيام الرسول وعارضه، وعده «ابن حبيب» في جملة المستهزئين من قريش بالرسول، وممن مات كافرًا بعد أن أصابه العمى.

وكان «الأسود» نديمًا للأسود بن عبد يغوث الزهري، وكانا من أعز قريش في الجاهلية، وكانا يطوفان بالبيت متقلدين بسيفين سيفين، وكانا من المستهزئين بالرسول[1].

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا يبلغ محمدًا وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا بهم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء.

وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت، وهو تركهم النوح على قتلاهم، فإن البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين.

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي (٧/ ١٠٣).

قال ابن إسحاق: وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة، وعقيل، والحارث، وكان يحب أن يبكي على بنيه، قال: فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له- وكان قد ذهب بصره-: انظر هل أحل النحب؟ هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة -يعني ولده زمعة- فإن جوفي قد احترق، قال: فلما رجع إليه الغلام، قال: إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته، قال: فذاك حين يقول الأسود:

أتبكي أن أضل لها بعير ... ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بني هصيص ... ومخزوم ورهط أبي الوليد
وبكى إن بكيت أبا عقيل ... وبكى حارثا أسد الأسود
وبكيهم ولا تسمي جميعًا ... وما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال ... ولولا يوم بدر لم يسودوا[1]

وفاته:

توفي قبل غزوة أحد.

أسباب نزول الآيات

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١-٦].

(١) البداية والنهاية (٣/ ٣٧٦-٣٧٧).

كان رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة فاعترضه الأسود بن المطلب بن أسد، والوليد بن المغيرة، وأميةُ بن خلف، والعاص بنُ وائل. وكانوا ذوي أسنان في قومهم فقالوا: يا محمد هلمّ فلنعبد ما تعبدُ سنةً، وتعبدُ ما نعبد سنة، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه. فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ السورة كلها، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليهم فيئسوا منه عند ذلك. وإنما عرضوا عليه ذلك لأنهم رأوا حرصه على أن يؤمنوا، فطمعوا أن يستنزلوه إلى الاعتراف بإلاهية أصنامهم.

وعن ابن عباس: فيئسوا منه، وآذوه وآذوا أصحابه. وبهذا يعلم الغرض الذي اشتملت عليه، وأنه تأييسهم من أن يوافقهم في شيء مما هم عليه من الكفر بالقول الفصل المؤكد في الحال والاستقبال، وأن دين الإسلام لا يخالط شيئًا من دين الشرك[1].

وأما قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٥-٩٦].

فيقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ يا محمد، الذين يستهزئون بك ويسخرون منك، فاصدع

(١) الروض الأنف (٢/ ١٤٧)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (١/ ٢٠٠)، والتحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (٣٠/ ٥٨٠)، وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص٢٠١-٢٠٢)، وانظر: الرحيق المختوم (ص٨٥).

بأمر الله، ولا تخف شيئًا سوى الله، فإن الله كافيك من ناصبك وآذاك، كما كفاك المستهزئين. وكان رؤساء المستهزئين قومًا من قريش معروفين.

فكان عظماء المستهزئين خمسة نفر من قومه، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم، من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الأسود بن المطلب أبو زمعة، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغني قد دعا عليه، لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: اللهم أعم بصره، وأثكله ولده[1].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى، والحارث ابن عيطل السهمي، والعاص بن وائل، فأتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ شكاهم إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأراه الوليد أبا عمرو ابن المغيرة، فأومأ جبريل إلى أبجله، فقال: «ما صنعت؟». قال: كفيته. ثم أراه الأسود بن المطلب، فأومأ جبريل إلى عينيه، فقال: «ما صنعت؟». قال: كفيته. ثم أراه الأسود ابن عبد يغوث الزهري، فأومأ إلى رأسه، فقال: «ما صنعت؟». قال: كفيته. ثم أراه الحارث بن عيطل السهمي، فأومأ إلى رأسه، فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته. ومر به العاص بن وائل، فأومأ إلى أخمصه، فقال: «ما صنعت؟». قال: كفيته. فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة، وهو يريش نبلًا، له فأصاب أبجله فقطعها. وأما الأسود بن المطلب

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٥٣)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٥٢)، وانظر: الروض الأنف (٢/ ٢١٣)، والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (١/ ٢٢٤).

فعمي، فمنهم من يقول: عمي هكذا. ومنهم من يقول: نزل تحت سمرة، فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني، قد قتلت. فجعلوا يقولون: ما نرى شيئًا. وجعل يقول: يا بني ألا تمنعون عني، قد هلكت، ها هو ذا أطعن بالشوك في عيني. فجعلوا يقولون: ما نرى شيئًا. فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الأسود بن عبد يغوث الزهري، فخرج في رأسه قروح، فمات منها. وأما الحارث بن عيطل، فأخذه الماء الأصفر في بطنه، حتى خرج خرؤه من فيه، فمات منها. وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يومًا، إذ دخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت منها، فمات منها، وقال غيره: فركب إلى الطائف على حمار، فربض به على شبرقة، فدخلت في أخمص قدمه شوكة، فقتلته[1].

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٩/ ٨ رقم١٨١٨٧)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ١١١ رقم٩٤)، والطبراني في أوسط معاجمه (٥/ ١٧٣ رقم٤٩٨٦)، وفي الأحاديث الطوال (رقم٣٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٣٣ رقم١١١١٣): رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عبدالحكيم النيسابوري، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية (٢٢٠-٢٢١).